# مفهوم الحرية في القرآن الكريم: دراسة تفسيرية مقارنة في ضوء المدارس التفسيرية

# The Concept of Freedom in the Holy Qur'an: A Comparative Exegetical Study in Light of the Schools of Qur'anic Interpretation


**م.د. محمد محمود حسين**

**Mohamed Mahmoud Hussein**

**المديرية العامة لتربية صلاح الدين**

**mohammedalkhzraji11@gmail.com**



**الكلمات المفتاحية: الحرية، القرآن الكريم، التفسير المقارن، المدارس التفسيرية، الاختيار، المسؤولية.**

**Keywords: Freedom, Holy Qur'an, Comparative Tafsir, Exegetical Schools, Free Will, Responsibility.**

**الملخص**

يهدف هذا البحث إلى دراسة مفهوم الحرية في القرآن الكريم دراسة تفسيرية مقارنة في ضوء المدارس التفسيرية المختلفة، وبيان الأسس القرآنية التي يقوم عليها هذا المفهوم، والكشف عن مناهج المفسرين في تفسير الآيات المتعلقة بالحرية.

اعتمد البحث المنهج الاستقرائي في جمع الآيات ذات الصلة، والمنهج التحليلي في دراسة دلالاتها، والمنهج المقارن في عرض أقوال المفسرين ومناقشتها. وقد توصل البحث إلى أن الحرية في القرآن الكريم تقوم على أساس تكريم الإنسان وإثبات إرادته واختياره، مع ربطها بالمسؤولية الشرعية والأخلاقية. كما تبين أن المفسرين، على اختلاف مدارسهم، اتفقوا على الأصول العامة لمفهوم الحرية، وإن اختلفوا في بعض التطبيقات والتفصيلات المرتبطة بمناهجهم التفسيرية واتجاهاتهم الفكرية.

وأظهرت الدراسة أن التصور القرآني للحرية يتميز بالتوازن بين حقوق الفرد ومصالح المجتمع، وبين حرية الاختيار والالتزام بالقيم والأحكام الشرعية، مما يجعله نموذجًا متكاملًا يجمع بين البعد الإنساني والبعد التعبدي.

**Abstract:**

This study aims to examine the concept of freedom in the Holy Qur'an through a comparative exegetical approach based on different schools of Qur'anic interpretation. It seeks to identify the Qur'anic foundations of freedom and to analyze the approaches adopted by exegetes In interpreting verses related to thIs concept .The research employs the inductive method to collect relevant Qur'anic verses, the analytical method to examine their meanings and implications, and the comparative method to Investigate and evaluate the views of various exegetical schools. The study concludes that freedom in the Qur'an is founded upon human dignity, free will, and moral responsibility. It also finds that while exegetes generally agree on the fundamental principles of freedom, they differ in certain applications and interpretations

according to their methodological and intellectual orientations The study further demonstrates that the Qur'anic conception of freedom is characterized by a balanced framework that harmonizes individual rights with social interests and combines freedom of choice with ethical and religious responsibility. This balance distinguishes the Qur'anic perspective from many contemporary conceptions of freedom.

**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب هداية وتشريع، جاء لإخراج الإنسان من ظلمات الجهل والعبودية إلى نور الإيمان والحرية المسؤولة، وقد شكّلت الحرية إحدى القيم الإنسانية الكبرى التي اهتم بها القرآن الكريم، إذ ارتبطت بتكريم الإنسان، وإثبات إرادته واختياره، وتحمله مسؤولية أفعاله أمام الله تعالى. وقد تناول القرآن مفهوم الحرية من خلال منظومة متكاملة تجمع بين تحرير الإنسان من العبودية لغير الله، وإقرار حقه في الاختيار، مع ربط ذلك بالمسؤولية الأخلاقية والضوابط الشرعية.

ولما تعددت مناهج المفسرين وتنوعت مدارسهم في فهم النصوص القرآنية واستنباط دلالاتها، انعكس ذلك على تناولهم لمفهوم الحرية وبيان أبعاده المختلفة، الأمر الذي يجعل من الدراسة المقارنة بين تلك المدارس ضرورة علمية للكشف عن معالجة هذا المفهوم، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، وإظهار اثر المنهج التفسيريّ في توجيه الفهم القرآني للحرية.

## أهمية البحث

وتبرز أهمية دراسة مفهوم الحرية في القرآن الكريم في ظل ما يشهده العصر الحديث من توسع في استعمال هذا المفهوم واختلاف المرجعيات الفكرية التي تفسره وتحدد حدوده. كما تزداد أهمية الموضوع بسبب تعدد مناهج المفسرين واتجاهاتهم في فهم الآيات المتعلقة بالحرية، الأمر الذي يستدعي دراسة تفسيرية مقارنة تكشف أوجه الاتفاق والاختلاف بين المدارس التفسيرية المختلفة في معالجة هذا المفهوم.

**إشكالية البحث**

وتتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما مفهوم الحرية في القرآن الكريم؟ وكيف تناولته المدارس التفسيرية المختلفة، وما أبرز أوجه الاتفاق والاختلاف بينها في تفسير الآيات المتعلقة بالحرية؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدد من التساؤلات، منها:

1. ما المقصود بالحرية لغةً واصطلاحًا؟
2. ما الأسس القرآنية التي يقوم عليها مفهوم الحرية؟
3. كيف فسرت المدارس التفسيرية آيات الحرية في القرآن الكريم؟
4. ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين المفسرين في تناول مفهوم الحرية؟
5. ما أثر الاتجاهات التفسيرية المختلفة في بناء التصور القرآني للحرية؟

**أهداف البحث:**

- بيان مفهوم الحرية في القرآن الكريم.
- إبراز الأسس القرآنية التي يقوم عليها هذا المفهوم.
- دراسة آراء المفسرين في تفسير الآيات المتعلقة بالحرية.
- المقارنة بين المدارس التفسيرية المختلفة في تناولها لمفهوم الحرية.
- بيان أثر المرجعيات التفسيرية في توجيه فهم النصوص القرآنية المتعلقة بالحرية.

**منهج البحث:**

وقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي من خلال تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بالحرية ومشتقاتها، والمنهج التحليلي في دراسة دلالات تلك الآيات، والمنهج المقارن في بيان اتجاهات المدارس التفسيرية المختلفة ومناقشة آرائها.

**هيكلية البحث:**

وانتظم البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تناول المبحث الأول مفهوم الحرية وأصولها الفكرية، وخصص المبحث الثاني لدراسة الحرية في القرآن الكريم من خلال الآيات المتعلقة بها، بينما تناول المبحث الثالث الدراسة التفسيرية المقارنة لمفهوم الحرية في ضوء المدارس التفسيرية المختلفة، ثم خُتم البحث بأهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الباحثة والقارئ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

## المبحث الأول

## مفهوم الحرية وأصولها الفكرية

يُعدّ مفهوم الحرية من أكثر المفاهيم الفكرية والإنسانية تداولًا في مختلف الحقول المعرفية؛ لما له من ارتباط وثيق بحياة الإنسان الفردية والاجتماعية والسياسية والدينية. وقد تنوّعت دلالات الحرية عبر العصور تبعًا لاختلاف المرجعيات الفكرية والثقافية، فظهرت لها معانٍ لغوية وأخرى اصطلاحية، كما تطوّر مفهومها في الفكر الإنساني حتى أصبح من أبرز القضايا التي تشغل الدراسات الفلسفية والشرعية والحقوقية المعاصرة.

وعليه، فإن دراسة مفهوم الحرية تستلزم الوقوف على أصوله اللغوية والاصطلاحية، ثم تتبع تطوره في الفكر الإنساني القديم والمعاصر، للكشف عن طبيعة التحولات التي طرأت عليه، ومدى تأثر المفهوم الإسلامي بالمفاهيم الوافدة من الفلسفات الغربية الحديثة.

**المطلب الأول: تعريف الحرية لغةً واصطلاحًا**

تُعدّ الحرية من المفاهيم المركزية التي شغلت الفكر الإنساني قديمًا وحديثًا، وقد اكتسبت أهميتها من اتصالها المباشر بكرامة الإنسان وإرادته ومسؤوليته. وتدور مادة (ح ر ر) في اللغة العربية حول معاني الخلوص والنقاء والسلامة من النقص والعيوب، وهي معانٍ تدل على الكمال والصفاء والتحرر من القيود. وقد بيّن اللغويون أن لفظ الحرية يجمع بين معاني الشرف والفضل والاستقلال عن كل ما يقيد الإنسان أو ينتقص من كماله(ابن منظور، 1414هـ، ج4، ص177؛ ابن سيده، 2000، ج2، ص520).

ومن الشواهد القرآنية الدالة على هذا المعنى قوله تعالى على لسان امرأة عمران: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: 35]، وقد فسر الزجاج كلمة «محررًا» بأنه مخلص للعبادة، معتق من شواغل الدنيا، ومتفرغ لخدمة بيت المقدس(الزجاج، 1988، ج1، ص402). ويدل هذا التفسير على أن التحرير في أصل اللغة يفيد معنى التخليص والتنقية والتفرغ للغايات السامية.

كما استعمل العرب لفظ الحر للدلالة على الشيء الكامل الخالص؛ فقيل: الحر من الناس خيارهم، والحرّة من النساء الكريمة الشريفة، وحرّ الشيء أفضله وأعتقه، وطين حر إذا خلا من الشوائب، وهو ما يؤكد ارتباط الحرية بمعاني الصفاء والكمال(ابن منظور، 1414هـ، ج4، ص177).

ولم يقتصر استعمال المادة اللغوية على معنى الخلاص من الرق، بل استُعملت كذلك في معنى الإتقان والإصلاح، فيقال: «حرّر الكتاب» إذا أصلحه وقوّم ألفاظه، و«حرّر الحساب» إذا أتقنه وضبطه من غير خلل(ابن منظور، 1414هـ، ج3، ص278).

وقد لخّص الراغب الأصفهاني المعاني اللغوية للحرية بقوله: «الحرية ضربان: حرية حسية وهي الخلاص من الرق، وحرية معنوية وهي التحرر من الصفات الذميمة كالشح والطمع والحرص»(الأصفهاني، 1412هـ، ص225). ويؤيد هذا المعنى ما رواه البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «تَعِسَ عبدُ الدينار، وتَعِسَ عبدُ الدرهم»(البخاري، د.ت.، كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، حديث رقم 2887)، إذ شبّه التعلق المفرط بالمال بصورة من صور العبودية المعنوية.

أما في الاصطلاح، فقد ارتبط مفهوم الحرية في التراث الفقهي الإسلامي ابتداءً بالخلاص من الرق؛ فعرفها التهانوي بأنها «خلوص حكمي يظهر في الآدمي لانقطاع حق الغير عنه»(التهانوي، 1996، ج1، ص641)، وعرفها صاحب دستور العلماء بأنها «الخروج عن الرق»(القاضي، 2000، ج2، ص24).

وفي المجال الصوفي اتسع المفهوم ليشمل التحرر الروحي، فعرف الجرجاني الحرية بأنها «الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار»(الجرجاني، 1983، ص86)، وهو تعريف يربط الحرية بالتحرر من سلطان الشهوات والتعلقات الدنيوية.

أما في الفكر الإسلامي المعاصر فقد اتسع مفهوم الحرية ليشمل قدرة الإنسان على التصرف وفق إرادته واختياره في حدود المسؤولية الشرعية، ولذلك عرفها ابن عاشور بأنها «عمل الإنسان ما يقدر على عمله حسب مشيئته، لا يصرفه عن عمله أمر غيره»(ابن عاشور، 1936، ص161). ويرى أن هذا المعنى الحديث نشأ بطريق المجاز عن المعنى الأصلي للحرية المرتبط بالخلاص من الرق(ابن عاشور، 2004، ص39).

وبناءً على ما سبق يمكن تعريف الحرية بأنها: قدرة الإنسان على ممارسة إرادته واختياره في إطار المسؤولية الشرعية والأخلاقية، بما يحقق كرامته ويحفظ حقوقه وحقوق الآخرين.

**المطلب الثاني: تطور مفهوم الحرية في الفكر الإنساني**

مرّ مفهوم الحرية بمراحل متعددة عبر التاريخ، واختلفت دلالاته باختلاف البيئات الفكرية والحضارية؛ ففي الحضارات القديمة ارتبطت الحرية بالمكانة الاجتماعية والسياسية؛ ففي الحضارة اليونانية كانت الحرية مقصورة على المواطنين الأحرار دون العبيد والنساء والأجانب، كما ربط أفلاطون الحرية بسيادة العقل على الشهوات، في حين جعلها أرسطو مرتبطة بالمشاركة في الحياة السياسية وإدارة شؤون الدولة.

أما الحضارة الرومانية فقد وسعت نطاق الحقوق المدنية للأحرار، إلا أنها أبقت على التمييز الطبقي بين الأحرار والعبيد، وظلت الحرية فيها مرتبطة بالمركز القانوني والاجتماعي للفرد.

وفي الفكر الديني القديم ارتبطت الحرية غالبًا بالتحرر الروحي والأخلاقي، فكان التركيز على خلاص النفس من الشرور والأهواء أكثر من التركيز على الحقوق السياسية والمدنية.

وجاء الإسلام بمنظور أكثر شمولًا للحرية؛ إذ جمع بين التحرر المادي والتحرر المعنوي، وربط كرامة الإنسان بحريته ومسؤوليته أمام الله تعالى، وفتح أبواب العتق، وجعل تحرير الرقاب من أعظم القربات والكفارات، الأمر الذي أسهم في تضييق دائرة الرق وتوسيع دائرة الحرية داخل المجتمع الإسلامي(ابن شاس، 2003، ج3، ص1184).

وفي العصر الحديث شهد الفكر الغربي تحولًا كبيرًا في مفهوم الحرية، خاصة بعد عصر النهضة والثورات الأوروبية، حيث أصبحت الحرية من الحقوق الطبيعية الملازمة للإنسان. وقد نادى فلاسفة العقد الاجتماعي مثل جون لوك وجان جاك روسو بحق الفرد في اختيار السلطة السياسية وممارسة حقوقه المدنية، ثم تطور المفهوم في الفكر الليبرالي ليشمل الحرية السياسية والفكرية والاقتصادية والشخصية، وأدى الاحتكاك الحضاري بين العالم الإسلامي والغرب إلى انتقال كثير من المفاهيم الحديثة المتعلقة بالحرية إلى البيئة الإسلامية، فظهرت اجتهادات فكرية معاصرة تسعى إلى التوفيق بين الحرية بوصفها حقًا إنسانيًا أصيلًا وبين الضوابط الشرعية التي تحفظ مصالح الفرد والمجتمع (ينظر: لوتي، 2025)[1].

[1] ينظر: المراحل الرئيسية لتطور الفكر الفلسفي الحديث، محمد لوتي (2025)، https://arabpsychology.com/lesson/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%AD%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3%D9%8A%D8%A9-

**المطلب الثالث: الأسس القرآنية لمفهوم الحرية**

يقوم مفهوم الحرية في الإسلام على أسس قرآنية راسخة تجعل الحرية جزءًا من تكريم الله تعالى للإنسان، وتربطها بالمسؤولية والالتزام الأخلاقي.

**أولًا: تكريم الإنسان أساس الحرية** قرر القرآن الكريم مبدأ الكرامة الإنسانية العامة لجميع البشر، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]. وتدل الآية على أن الإنسان مكرم لذاته الإنسانية، وهو تكريم يقتضي تمتعه بحقوقه الأساسية وفي مقدمتها حرية الإرادة والاختيار ابن كثير، 1998م، ج 5، ص 97).

**ثانيًا: حرية الاختيار وتحمل المسؤولية** أكد القرآن أن الإنسان مخلوق مختار، ومنحه الله القدرة على التمييز بين الخير والشر، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: 10]، وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]. وتدل هذه النصوص على إثبات حرية الاختيار مع ترتيب المسؤولية والجزاء على هذا الاختيار (الشعراوي، 1997، 14/ 8883).

**ثالثًا: مبدأ الحرية الدينية** من أبرز الأسس القرآنية للحرية قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، وهي قاعدة عظيمة تقرر أن الإيمان لا يصح بالإجبار، وإنما يقوم على الاقتناع والاختيار. كما قال تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99]، وقد تجسد هذا المبدأ عمليًا في وثيقة المدينة التي أقرت لغير المسلمين حقهم في ممارسة شعائرهم الدينية وحفظ أموالهم وأنفسهم(ابن هشام، 1955، ج1، ص143).

**رابعًا: التحرر من العبودية لغير الله** يربط الإسلام الحرية الحقيقية بالعبودية لله تعالى وحده؛ لأن الخضوع للخالق يحرر الإنسان من الخضوع للمخلوقين والأهواء والشهوات. ولذلك جعل القرآن غاية الرسالات تحرير الإنسان من الطغيان والاستعباد (الغامدي، 2003، ج3، ص 1864)، قال تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36].

**خامسًا: التوازن بين الحرية والمسؤولية** لا يقر الإسلام الحرية المطلقة المنفلتة من كل قيد، وإنما يجعلها مرتبطة بمقاصد الشريعة ومصالح المجتمع، بحيث تنتهي حرية الفرد عند الاعتداء على حقوق الآخرين أو الإضرار بالمصلحة العامة (ابن عاشور، ٢٠٠٤، ص ٥٠٧). ومن ثم فإن الحرية في التصور القرآني حق أصيل، لكنها حق منضبط بالعدل والأخلاق والمسؤولية.

%D9%84%D8%AA%D8%B7%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%83%D8%B1-/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D9%8A

وبذلك يتبين أن القرآن الكريم أسس لمفهوم متوازن للحرية يجمع بين تكريم الإنسان، وضمان حقه في الاختيار، وصيانة المجتمع من الفوضى والانفلات، مما يجعل الحرية في الإسلام وسيلة لتحقيق العبودية لله وعمارة الأرض وفق منهجه(ابن عاشور، ٢٠٠٤، ص 511).

**سادسًا: الحرية والأمانة في التصور القرآني** يربط القرآن الكريم بين الحرية والمسؤولية ربطًا وثيقًا، فلا ينظر إلى الإنسان بوصفه كائنًا حرًا فحسب، وإنما بوصفه كائنًا مكلَّفًا ومحاسبًا على أفعاله واختياراته. ومن أبرز الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الأحزاب: 72]. وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن الأمانة تشمل التكاليف الشرعية وما يتفرع عنها من مسؤولية الاختيار وتحمل تبعاته(ابن كثير، 1998، ج6، ص489؛ القرطبي، 1964، ج14، ص252). وتدل الآية على أن الله تعالى منح الإنسان قدرة الاختيار والإرادة، وهي أساس الحرية الإنسانية، إلا أن هذه الحرية ليست منفصلة عن المسؤولية، بل هي مناط التكليف والثواب والعقاب. ومن هنا فإن الحرية في الإسلام ليست امتيازًا مجردًا، وإنما أمانة تستوجب حسن التصرف والالتزام بمنهج الله تعالى.

**سابعًا: الحرية باعتبارها من مقاصد الشريعة** من خلال استقراء نصوص القرآن والسنة يتبين أن الشريعة الإسلامية جاءت لحفظ مصالح الناس وتحقيق مقاصد عظيمة، ومن أبرز هذه المقاصد صيانة كرامة الإنسان وحفظ إرادته واختياره. ولذلك شرعت أحكام العتق، وجعلت تحرير الرقاب من أفضل القربات، وربطت كثيرًا من الكفارات بالعتق، كما في كفارة القتل الخطأ والظهار واليمين في بعض الصور، وقد رأى عدد من العلماء المعاصرين أن الحرية تمثل قيمة مقاصدية كبرى تتفرع عن مقصد حفظ الكرامة الإنسانية، وأن النصوص الشرعية في مجموعها تتجه إلى توسيع دائرة الحرية المشروعة والتضييق من أسباب الاستعباد والإكراه(ابن عاشور، 2004، ص313 وما بعدها).

**ثامنًا: العلاقة بين الحرية والكرامة الإنسانية:** تُعد الكرامة الإنسانية من أهم الأسس التي يقوم عليها مفهوم الحرية في الإسلام؛ إذ لا يمكن تصور إنسان مكرم وهو مسلوب الإرادة أو فاقد الاختيار. وقد قرر القرآن هذا الأصل بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]، فجعل التكريم شاملًا لجميع البشر دون تمييز بسبب الجنس أو اللون أو النسب (ابن عاشور، ١٩٨٤، مج ١٥، ص ١٦٤).

ومن مظاهر هذا التكريم أن الله تعالى منح الإنسان العقل الذي يميز به بين النافع والضار، والإرادة التي يختار بها أفعاله، وجعله مسؤولًا عن أعماله أمام الله تعالى. ولذلك فإن المحافظة على حرية الإنسان المشروعة تعد من مقتضيات حفظ كرامته التي قررتها الشريعة الإسلامية (ابن عاشور، ٢٠٠٤، ص ٥٠٤).

**تاسعًا: ضوابط الحرية في القرآن الكريم:** على الرغم من إقرار الإسلام للحرية، إلا أنه لم يجعلها حرية مطلقة منفلتة من كل قيد؛ لأن الحرية المطلقة قد تؤدي إلى الإضرار بالآخرين وإفساد المجتمع. ولهذا جاءت النصوص الشرعية مقررة لمبدأ التوازن بين الحرية والمسؤولية (ابن عاشور، ٢٠٠٤، ص ٥٠٧).

فحرية الاعتقاد مثلًا لا تبيح الاعتداء على حقوق الآخرين، وحرية التعبير لا تبرر نشر الباطل أو الإضرار بالمجتمع، وحرية التصرف المالي لا تجيز أكل أموال الناس بالباطل. ولذلك جاءت الأحكام الشرعية لتحقيق الموازنة بين حق الفرد في ممارسة حريته وحق المجتمع في الأمن والاستقرار (القرطبي، ١٩٦٤، مج ٥، ص ٢٩).

وقد أشار القرآن إلى هذا المعنى في مواضع عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: 56]. فهذه النصوص تؤكد أن ممارسة الحرية ينبغي أن تكون ضمن إطار المسؤولية والالتزام الأخلاقي (الطبري، ٢٠٠١، مج ٣، ص ٥٦٣).

ومن خلال ما سبق يتضح أن الحرية في التصور القرآني ليست مجرد حق إنساني فحسب، بل هي نعمة إلهية وأمانة شرعية، تقوم على تكريم الإنسان وتمكينه من الاختيار، وترتبط في الوقت نفسه بالمسؤولية والمحاسبة. كما أن القرآن الكريم لم يجعل الحرية غاية مستقلة بذاتها، وإنما وسيلة لتحقيق عبودية الله تعالى وعمارة الأرض وإقامة العدل بين الناس، وهو ما يمنح مفهوم الحرية في الإسلام توازنًا يجمع بين حقوق الفرد ومصالح المجتمع.

## المبحث الثاني

## دراسة تفسيرية مقارنة لآيات الحرية في القرآن الكريم

برزت آيات واضحة تدل على مفهوم الحرية في القرآن، وسيتم تناولها وتناول الآراء التفسيرية المقارنة:

**المطلب الأول: التفسير المقارن لآيات حرية الاعتقاد**

تُعدّ حرية الاعتقاد من أبرز صور الحرية التي أكدها القرآن الكريم، إذ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بكرامة الإنسان وبقدرته على الاختيار وتحمل المسؤولية. وقد عالج القرآن هذا المبدأ في عدد من الآيات التي قررت أن الإيمان الحقيقي لا يقوم على الإكراه، وإنما على الاقتناع واليقين، الأمر الذي جعل هذه الآيات محل عناية كبيرة لدى المفسرين بمختلف اتجاهاتهم.

ومن أهم الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]. وقد ذهب الإمام الطبري إلى أن الآية تدل على أن الله تعالى لم يجعل الدخول في الإسلام قائمًا على القسر والإجبار؛ لأن الحق قد ظهر واتضح، فلم تبق حاجة إلى الإكراه(الطبري، 2001، ج5، ص409). ويفهم من تفسير الطبري أن الإيمان لا قيمة له إذا كان ناتجًا عن ضغط خارجي لا عن اقتناع داخلي.

أما الزمخشري فقد ركز على الجانب البلاغي والعقلي للآية، فبيّن أن وضوح أدلة الإسلام وكمال براهينه يغني عن وسائل الإكراه، لأن ما يقوم على الحجة لا يحتاج إلى القهر والإجبار(الزمخشري، 1407هـ، ج1، ص311). كما أكد الرازي أن الإيمان عمل قلبي لا يمكن أن يتحقق بالإكراه، لأن التصديق القائم على القسر لا يعد إيمانًا حقيقيًا(الرازي، 1420هـ،ج7، ص14).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99]، اتفق المفسرون على أن الآية تبين حدود وظيفة الرسول ﷺ، وأن مهمته تقتصر على البلاغ والبيان، أما الهداية القلبية فمرجعها إلى الله تعالى. وقد ذكر القرطبي أن الآية نصّ في نفي الإكراه على الإيمان، لأن الإيمان لا يتحقق إلا بالاختيار(القرطبي، 1964، ج8، ص393).

كما تناول المفسرون قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]، فذهب الطبري إلى أن الآية تتضمن معنى التهديد والوعيد، مع إثبات قدرة الإنسان على الاختيار بين الإيمان والكفر(الطبري، 2001، ج17، ص229). ووافقه ابن كثير في أن الآية لا تدعو إلى الكفر، وإنما تبين أن الإنسان يتحمل نتائج اختياره ومسؤوليته أمام الله تعالى(ابن كثير، 1998، ج5، ص186).

ومن خلال هذه الآيات يتبين أن القرآن الكريم أقام العلاقة بين الإنسان والعقيدة على أساس الاختيار الحر، وجعل الإيمان ثمرة الاقتناع لا نتيجة الإكراه، وهو ما يمثل أحد المرتكزات الأساسية لمفهوم الحرية في التصور القرآني

**المطلب الثاني: التفسير المقارن لآيات حرية الإرادة والمسؤولية**

تُعدّ حرية الإرادة من القضايا المحورية التي تناولها القرآن الكريم؛ لأنها ترتبط ارتباطًا مباشرًا بمسألة التكليف والثواب والعقاب، كما أنها تمثل الأساس الذي تقوم عليه مسؤولية الإنسان أمام الله تعالى. فالقرآن الكريم يخاطب الإنسان بوصفه كائنًا عاقلًا مختارًا، قادرًا على التمييز بين الخير والشر، ومؤهلًا لتحمل نتائج أفعاله واختياراته.

ومن أبرز الآيات التي استدل بها المفسرون على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3]. وقد فسر الطبري الآية بأن الله تعالى بيّن للإنسان طريق الخير وطريق الشر، وعرّفه سبيل الهدى وسبيل الضلال، ثم ترك له الاختيار بينهما، ولذلك استحق الثواب أو العقاب بحسب عمله(الطبري، 2001، ج24، ص112)، وذهب ابن كثير إلى المعنى نفسه، مبينًا أن الله تعالى أقام الحجة على الإنسان بإرشاده إلى الطريق المستقيم وتمكينه من الاختيار(ابن كثير، 1998، ج8، ص291).

أما الزمخشري فقد استدل بالآية على إثبات قدرة الإنسان على الاختيار، ورأى أن نسبة الشكر والكفر إلى الإنسان تدل على مسؤوليته المباشرة عن أفعاله؛ لأن الثواب والعقاب لا يكونان إلا على فعل اختياري(الزمخشري، 1407هـ، ج4، ص670). كما أكد الرازي أن الآية تدل على أن الإنسان ليس مسلوب الإرادة، بل يمتلك قدرة على الاختيار ضمن نطاق المشيئة الإلهية العامة(الرازي، 1420هـ،ج30، ص228).

ومن الآيات المهمة في هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: 10]. وقد فسر جمهور المفسرين النجدين بطريقي الخير والشر. ويرى الطبري أن المقصود تعريف الإنسان بطريق السعادة وطريق الشقاء، وتمكينه من التمييز بينهما(الطبري، 2001، ج24، ص471). بينما أضاف الرازي أن الآية تشير إلى ما أودعه الله في الإنسان من عقل وقدرة على الإدراك والتمييز، وهي أدوات ضرورية لتحقق الاختيار المسؤول(الرازي، 1420هـ،ج31، ص189).

كما تناول المفسرون قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: 38]، وعدّوها من أوضح الآيات الدالة على المسؤولية الفردية. فكل إنسان مرتهن بعمله، لا يحمل وزر غيره، ولا

يُحاسب إلا على ما اكتسبه بنفسه. وقد أكد القرطبي أن الآية أصل في المسؤولية الشخصية والجزاء الفردي(القرطبي، 1964، ج19، ص84).

وقد ظهر أثر الخلاف الكلامي في تفسير هذه الآيات؛ فالمعتزلة استدلوا بها على إثبات حرية الإنسان بصورة واسعة، وعدّوا أن الإنسان هو الفاعل الحقيقي لأعماله الاختيارية. أما الأشاعرة ففسروها في ضوء نظرية الكسب، فأثبتوا للإنسان إرادة واختيارًا يكون بهما مناط التكليف، مع بقاء الخلق والإيجاد لله تعالى. بينما اتجه الماتريدية إلى إثبات قدرة حقيقية للإنسان على الفعل ضمن إطار المشيئة الإلهية، محاولين التوفيق بين النصوص الدالة على الاختيار والنصوص الدالة على عموم قدرة الله تعالى.

أما المفسرون المعاصرون فقد ركزوا على الأبعاد الحضارية والأخلاقية لهذه الآيات، فرأى سيد قطب أن حرية الاختيار هي أساس الاستخلاف الإنساني في الأرض، وأنها الشرط الذي يمنح الحياة الإنسانية معناها الحقيقي(سيد قطب، 2004، ج8، ص3918). كما أكد ابن عاشور أن ربط القرآن بين العمل والجزاء في عشرات الآيات يدل على أن الإنسان مسؤول عن قراراته وأفعاله، وأن التكليف لا يستقيم إلا بوجود الإرادة الحرة(ابن عاشور، 1984، ج29، ص378).

ومن خلال المقارنة بين التفاسير المختلفة يتبين أن المفسرين، على اختلاف اتجاهاتهم، اتفقوا على أصل مسؤولية الإنسان عن أفعاله، وإن اختلفوا في تفسير طبيعة العلاقة بين الإرادة الإنسانية والمشيئة الإلهية. وهذا يدل على أن القرآن الكريم يربط الحرية بالمسؤولية ربطًا وثيقًا، فلا يجعل الإنسان مجبرًا على أفعاله، ولا يطلق حريته دون محاسبة أو جزاء.

**المطلب الثالث: الاتفاق والاختلاف بين المدارس التفسيرية في تناول آيات الحرية**

أظهرت الدراسة المقارنة لآيات الحرية في القرآن الكريم وجود قدر كبير من الاتفاق بين المدارس التفسيرية المختلفة، إلى جانب عدد من مواطن الاختلاف التي ترجع إلى تنوع المناهج العلمية والعقدية التي اعتمدها المفسرون في فهم النص القرآني.

فمن حيث الاتفاق، أجمعت المدارس التفسيرية على أن القرآن الكريم يثبت للإنسان قدرًا من الحرية يجعله مسؤولًا عن أفعاله وأقواله ومعتقداته (الرازي، ١٤٢٠ هـ، مج ٢١، ص ١٦). كما اتفقت على أن التكليف الشرعي لا يمكن أن يتحقق إلا بوجود الإرادة والاختيار، وأن الثواب والعقاب في الآخرة مبنيان على ما يصدر عن الإنسان من أعمال واختيارات. كذلك اتفقت على

أن الإيمان الحقيقي لا يقوم على الإكراه، بل على الاقتناع واليقين، وهو ما تؤكده آيات حرية الاعتقاد في القرآن الكريم (ابن كثير، ١٤٣١ هـ، مج ٢، ص ٣٢).

كما أجمع المفسرون على أن الله تعالى منح الإنسان العقل وأمره بالتفكر والتدبر والنظر في آيات الكون والنفس، مما يدل على احترام القرآن للعقل الإنساني وإقراره بحرية النظر والتفكير في إطار الهداية الربانية. ولهذا كثرت الآيات التي تحث على التعقل والتفكر والتدبر، وعدّها المفسرون من الأدلة على تكريم الإنسان وتمييزه بالعقل والإرادة (الزمخشري، ١٤٠٧ هـ، مج ٢، ص ٦٧٤).

أما من حيث الاختلاف، فقد ظهر بصورة أوضح في تفسير حدود الحرية وطبيعة العلاقة بين إرادة الإنسان ومشيئة الله تعالى. ففي حين أكدت المدرسة الاعتزالية حرية الإنسان بصورة واسعة انطلاقًا من مبدأ العدل الإلهي، ذهبت المدرسة الأشعرية إلى إثبات مسؤولية الإنسان من خلال نظرية الكسب، محافظةً في الوقت نفسه على شمول القدرة الإلهية (القرطبي، ١٩٦٤، مج ١، ص ٣٩٨). أما المدرسة الماتريدية فقد سعت إلى التوفيق بين الاتجاهين بإثبات قدرة حقيقية للإنسان تقع ضمن الإرادة الإلهية العامة (الجرجاني، ١٩٨٣، ص ١٨٤).

كما ظهر الاختلاف في تفسير بعض الآيات المتعلقة بحرية الاعتقاد، ولا سيما آية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]. فذهب بعض المفسرين المتقدمين إلى القول بنسخها، بينما رفض جمهور من المحققين والمتأخرين هذا القول، وعدّوا الآية أصلًا محكمًا في تقرير حرية الاعتقاد، وأن آيات القتال لا تتعارض معها لاختلاف المجال والسياق التشريعي لكل منهما (الطبري، ٢٠٠١، مج ٥، ص ٤١٣–٤١٥).

ومن أوجه الاختلاف كذلك طبيعة المعالجة التفسيرية للحرية؛ إذ ركز المفسرون بالمأثور على الروايات وأسباب النزول والبيان اللغوي، بينما اهتم أصحاب التفسير بالرأي بالتحليل العقلي والكلامي للقضايا المرتبطة بالاختيار والإرادة. أما المفسرون المعاصرون فقد أولوا عناية خاصة بالبعد المقاصدي والإنساني للحرية، وربطوا بين الآيات القرآنية والقضايا الفكرية المعاصرة المتعلقة بحقوق الإنسان والتعددية الدينية والتعايش المجتمعي (ابن عاشور، ٢٠٠٤، ص 506).

وعلى الرغم من هذه الاختلافات، فإنها لم تمس الأصول الكلية التي قررها القرآن الكريم، وإنما انصبت على بعض التفصيلات والتطبيقات الناتجة عن اختلاف البيئات الفكرية والظروف التاريخية التي عاشها المفسرون. ولذلك بقيت الحرية في مجموع التفاسير الإسلامية قيمة قرآنية

أصيلة، ترتبط بتكريم الإنسان واستخلافه في الأرض، وتقوم على التوازن بين حق الاختيار وتحمل المسؤولية (ابن خلدون، ٢٠٠١، ص ١٢٥).

وخلاصة القول أن المدارس التفسيرية، على اختلاف مناهجها واتجاهاتها، أسهمت في إثراء فهم آيات الحرية وإبراز أبعادها المختلفة، مما يعكس سعة الدلالة القرآنية وقدرتها على استيعاب الاجتهادات المتنوعة ضمن إطار الأصول والثوابت الشرعية.

## المبحث الثالث

## الحرية في ضوء المدارس التفسيرية

### المطلب الأول: مفهوم الحرية عند المفسرين بالمأثور

يُعدّ التفسير بالمأثور من أقدم المناهج التفسيرية وأوثقها اتصالًا بمصادر الفهم الأولى للقرآن الكريم، إذ يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة النبوية، ثم بأقوال الصحابة والتابعين. ولذلك فإن معالجة المفسرين بالمأثور لمفهوم الحرية لم تأتِ في صورة نظرية مستقلة أو مصطلح فلسفي محدد، وإنما ظهرت من خلال تفسير الآيات المتعلقة بالإيمان والكفر، والتكليف، والثواب والعقاب، ومسؤولية الإنسان عن أفعاله واختياراته.

ومن خلال استقراء كتب التفسير بالمأثور يتبين أن الحرية عند هؤلاء المفسرين ارتبطت ابتداءً بإثبات قدرة الإنسان على اختيار طريق الإيمان أو الكفر، مع التأكيد على أن ذلك كله يجري في إطار المشيئة الإلهية العامة. فقد أكد الإمام الطبري (ت 310هـ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29] أن الله تعالى بيّن للناس طريق الهدى وطريق الضلال، ثم جعلهم مسؤولين عن اختيارهم، مع ما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب(الطبري، 2001، ج17، ص229).

كما يظهر مفهوم الحرية في تفسير الطبري لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، حيث يرى أن الله تعالى لم يجعل الدخول في الإسلام قائمًا على الإكراه، لأن الحق قد ظهر واتضح، ومن ثم فإن الإيمان لا يكون صحيحًا إلا إذا صدر عن قناعة واختيار(الطبري، 2001، ج5، ص409).

أما الإمام ابن كثير (ت 774هـ) فقد سار على المنهج نفسه، مؤكدًا أن الإيمان القائم على الإكراه لا يحقق المقصود الشرعي من الهداية؛ لأن الله تعالى يريد من عباده الإيمان المبني على

الاقتناع واليقين لا على الخوف والإجبار(ابن كثير، 1998، ج1، ص682). وعند تفسيره لآية: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99] بيّن أن وظيفة الأنبياء هي البلاغ والدعوة، أما الهداية القلبية فمرجعها إلى الله تعالى(ابن كثير، 1998، ج4، ص279).

ويظهر من خلال التفسير بالمأثور أن الحرية ترتبط كذلك بمبدأ المسؤولية الفردية، فقد ركز المفسرون على الآيات التي تربط العمل بالجزاء، مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: 38]، وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: 46]. وقد فهموا من هذه الآيات أن الإنسان محاسب على أعماله لأنه يملك قدرًا من الاختيار يجعله أهلًا للتكليف والثواب والعقاب.

ومن أبرز خصائص التفسير بالمأثور في تناوله للحرية أنه ركز على المعنى الشرعي المستفاد من النصوص والروايات، ولم ينشغل بالجدل الكلامي أو الفلسفي حول ماهية الحرية وحدودها. ولذلك جاءت معالجته للموضوع مرتبطة بالمقاصد الإيمانية والتربوية للنص القرآني أكثر من ارتباطها بالتحليلات العقلية المجردة.

وبناءً على ذلك يمكن القول إن المفسرين بالمأثور نظروا إلى الحرية باعتبارها نعمة إلهية منحها الله للإنسان ليختار بين الخير والشر، مع بقائها مقيدة بالتكليف الشرعي والمسؤولية الأخلاقية، وهو ما ينسجم مع التصور القرآني العام للإنسان بوصفه مخلوقًا مكرمًا ومحاسبًا على أفعاله.

**المطلب الثاني: مفهوم الحرية عند المفسرين بالرأي**

يتميز التفسير بالرأي باعتماده على النظر العقلي والاستنباط والاجتهاد في فهم النص القرآني، مع الالتزام بأصول الشريعة وقواعد اللغة العربية. وقد أسهم هذا الاتجاه في توسيع دائرة البحث في مفهوم الحرية، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين إرادة الإنسان ومشيئة الله تعالى، وحدود الاختيار الإنساني ومسؤوليته.

ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه الإمام الزمخشري (ت 538هـ)، الذي تأثر بالخلفية الاعتزالية القائمة على تأكيد حرية الإنسان وعدل الله تعالى؛ إذإن الإسلام هو دين الرفق والرحمة والعطف والين جاء به نبي الرحمة ليهدي به الناس اجمعين ويخرجهم من الظلمات الى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

**ومعنى هذه الآية** "أرسل صلى الله عليه وسلم رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ( لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه . ومن خالف ولم يتبع، فإنما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها، ومثاله: أن يفجر الله عينا

غديقة ، فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا، ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا، فالعين المفجرة في نفسها، نعمة من الله ورحمة للفريقين، ولكن الكسلان محنة على نفسه؛ حيث حرمها ما ينفعها، وقيل: كونه رحمة للفجار، من حيث أنّ عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال"(الزمخشري، 1407هـ، ج3، ص139). فقد رأى أن الآيات القرآنية التي تنسب الأعمال إلى الإنسان تدل على أنه مسؤول عنها مسؤولية حقيقية، وأن التكليف لا يستقيم إلا مع إثبات القدرة على الاختيار. ولذلك ركز في تفسيره على إبراز دور العقل والإرادة الإنسانية في تحقيق الإيمان والعمل الصالح.

أما الإمام فخر الدين الرازي (ت 606هـ) فقد تناول مفهوم الحرية من منظور كلامي وفلسفي أكثر عمقًا، محاولًا التوفيق بين النصوص التي تثبت حرية الإنسان والنصوص التي تؤكد شمول الإرادة الإلهية. ويرى الرازي أن الإنسان يملك إرادة وقدرة حقيقيتين تجعلان التكليف ممكنًا، إلا أن هذه القدرة ليست مستقلة عن قدرة الله تعالى، بل تقع ضمن المشيئة الإلهية العامة(الرازي، 1420هـ،ج30، ص228).

كما برز دور أبي حيان الأندلسي (ت 745هـ) في بيان الأبعاد اللغوية والتفسيرية لمفهوم الحرية، حيث ركز على الدلالات السياقية للآيات المتعلقة بالإيمان والاختيار، مؤكدًا أن القرآن يدعو إلى الاقتناع العقلي ولا يقر الإكراه في الاعتقاد(أبو حيان، 2000، ج2، ص280).

تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: 125)، و قال تعالى: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للنّاس على الله حجّةٌ بعد الرسلِ وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ (النساء: ١٦٥).

وعليه فقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يجاهد المشركين والمنافقين بالحجج والبراهين الساطعة القوية حتى يذعنوا للحق ويقبلوا به فيكون به سعادتهم في الدنيا والآخرة.

وقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم هذا المنهج تطبيقاً عملياً على المشركين، وكان وقع ذلك شديد عليهم، إذ إنه ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة وقد تهزم العساكر الكبار؛ والحجة الصحيحة لا تغلب أبدا فهي أدعى إلى الحق وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة، وأفاضل الصحابة الذين لا نظير لهم أنما أسلموا بقيام البراهين على صحة النبوة عندهم فكانوا أفضل ممن أسلموا بالغلبة؛ قال تعالى: ﴿قل فللّه الحجّة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ (الأنعام: ١٤٩) ولا شكّ في أن هذا إنما هو بالحجّة؛ لأن السيف مرّة لنا

ومرة علينا وليس كذلك البرهان بل هو لنا أبداً ودامغ لقول مخالفينا ومزهق له أبداً(ابن حزم، د.ت.، ج1، ص25).

ويظهر من خلال كتب التفسير بالرأي أن قضية الحرية ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بمباحث علم الكلام، ولا سيما مسألة الجبر والاختيار. ولذلك كثرت المناقشات المتعلقة بحدود قدرة الإنسان وعلاقة أفعاله بالإرادة الإلهية. وقد أدى هذا الأمر إلى ظهور اجتهادات متنوعة، إلا أنها جميعًا سعت إلى المحافظة على أصلين أساسيين: إثبات عدل الله تعالى من جهة، وإثبات مسؤولية الإنسان عن أفعاله من جهة أخرى، والتقليد في مجال العقائد سلوك ليس له مزية سوى كثرة العدد، كما يقول الإمام أبو منصور الماتريدي (ت333هـ) (ابن عبد الوهاب، د.ت.، ص3).

ومعضلة التقليد واجهت الأنبياء والمرسلين، في دعوتهم إلى التوحيد المحرر للإنسان، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ}[الزخرف:23]

ومن أهم ما يميز التفسير بالرأي أنه نقل البحث في الحرية من دائرة الرواية والنقل إلى دائرة التحليل العقلي والاستدلال المنطقي، ومن ثم يمكن القول إن المفسرين بالرأي نظروا إلى الحرية بوصفها أساسًا للتكليف ومسؤولية الإنسان، مع اختلافهم في تحديد طبيعة هذه الحرية وحدودها وعلاقتها بالمشيئة الإلهية، تبعًا لاتجاهاتهم الكلامية والفكرية المختلفة.

**المطلب الثالث: مفهوم الحرية في التفسير المعاصر**

شهد التفسير المعاصر اهتمامًا متزايدًا بمفهوم الحرية نتيجة التحولات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي عرفها العالم الإسلامي خلال القرنين الماضيين، وما صاحبها من جدل حول حقوق الإنسان والحريات العامة والعلاقة بين الدين والدولة. وقد انعكس ذلك بوضوح على كتابات المفسرين المعاصرين الذين سعوا إلى إبراز الأبعاد الحضارية والإنسانية لمفهوم الحرية في القرآن الكريم.

ويُعدّ محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ) من أبرز المفسرين الذين تناولوا الحرية بوصفها قيمة إنسانية أصيلة. فقد رأى أن الشريعة الإسلامية جاءت لحفظ كرامة الإنسان وتحقيق مصالحه، وأن الحرية من المقاصد الكبرى التي تقوم عليها الحياة الإنسانية السليمة. ولذلك أكد أن كثيرًا من الأحكام الشرعية تهدف إلى حماية إرادة الإنسان وصيانة اختياره من صور الإكراه والاستعباد المختلفة(ابن عاشور، 1984، ج2، ص18).

أما سيد قطب (ت 1386هـ) فقد جعل قضية الحرية من المحاور الرئيسة في تفسيره للقرآن الكريم، وربطها بمفهوم العبودية لله تعالى. ويرى أن التحرر الحقيقي لا يتحقق إلا بالخضوع لله وحده؛ لأن عبودية الإنسان لغير الله تمثل نوعًا من الاسترقاق الفكري والاجتماعي والسياسي. ولذلك أكد أن رسالة الإسلام جاءت لتحرير الإنسان من كل أشكال الطغيان والاستبداد(سيد قطب، 2004، ج4، ص2221).

كما اهتم المفسرون المعاصرون بآيات حرية الاعتقاد، وعدّوا قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أصلًا قرآنيًا محكمًا يؤسس لعلاقات قائمة على الاحترام المتبادل والتعايش السلمي بين أتباع الديانات المختلفة. وقد ربطوا هذا المبدأ بمقاصد الشريعة في حفظ الدين والنفس والعقل والكرامة الإنسانية، ومن خلال دراسة التفسير المعاصر يتبين أن مفهوم الحرية لم يعد مقتصرًا على الجوانب العقدية والكلامية التي شغلت المفسرين السابقين، بل أصبح جزءًا من مشروع حضاري متكامل يسعى إلى إبراز قدرة القرآن الكريم على معالجة القضايا الإنسانية المعاصرة وتقديم حلول متوازنة لها.

وخلاصة الأمر أن المفسرين المعاصرين نظروا إلى الحرية بوصفها قيمة قرآنية كبرى، ترتبط بكرامة الإنسان واستخلافه في الأرض، وتقوم على التوازن بين الحق والمسؤولية، وبين الإرادة الفردية والمصلحة العامة، بما ينسجم مع مقاصد الشريعة وروح الإسلام.

**الخاتمة**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تناول هذا البحث موضوع «مفهوم الحرية في القرآن الكريم: دراسة تفسيرية مقارنة في ضوء المدارس التفسيرية»، ساعيًا إلى بيان الأسس القرآنية لمفهوم الحرية، والكشف عن كيفية تناول المفسرين لهذا المفهوم عبر الاتجاهات التفسيرية المختلفة، ومقارنة مناهجهم في فهم الآيات المتعلقة بحرية الاعتقاد وحرية الإرادة والمسؤولية.

وقد أظهرت الدراسة أن الحرية تمثل قيمة إنسانية أصيلة في التصور القرآني، وأن القرآن الكريم قرر للإنسان حق الاختيار والإرادة، وربط ذلك بالتكليف والمسؤولية والجزاء، في إطار من التوازن بين حقوق الفرد ومصلحة المجتمع، وبين حرية الإنسان وخضوعه لله تعالى.

**أولًا: النتائج**

1. تبين أن مفهوم الحرية في اللغة العربية يدور حول معاني الخلوص والنقاء والسلامة من القيود والنقائص، وأن هذه المعاني اللغوية أسهمت في تشكيل المدلول الشرعي والاصطلاحي للحرية.
2. أظهر البحث أن الحرية في القرآن الكريم ليست مفهومًا طارئًا أو هامشيًا، بل هي من المبادئ الأساسية المرتبطة بكرامة الإنسان واستخلافه في الأرض.
3. كشفت الدراسة أن القرآن الكريم قرر مبدأ حرية الاعتقاد من خلال نصوص صريحة، أبرزها قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99].
4. بينت الدراسة أن الإيمان في التصور القرآني يقوم على الاقتناع والاختيار الحر، وأن الإكراه يتنافى مع حقيقة الإيمان ومقصوده.
5. أكدت الآيات القرآنية محل الدراسة أن الإنسان يمتلك إرادة وقدرة تجعله مسؤولًا عن أفعاله واختياراته، وهو ما يشكل الأساس الذي يقوم عليه مبدأ التكليف والثواب والعقاب.
6. أظهرت المقارنة بين المدارس التفسيرية وجود اتفاق عام على إثبات أصل الحرية الإنسانية، مع اختلافها في بعض القضايا المرتبطة بحدود الحرية وعلاقتها بالمشيئة الإلهية.
7. تبين أن المفسرين بالمأثور ركزوا على المعاني الإيمانية والتربوية للحرية المستفادة من النصوص الشرعية وأقوال السلف.
8. كشفت الدراسة أن المفسرين بالرأي تناولوا مفهوم الحرية من خلال مناقشة القضايا الكلامية والفلسفية، وخاصة مسألة الجبر والاختيار وعلاقة أفعال العباد بالإرادة الإلهية.
9. أظهر التفسير المعاصر اهتمامًا أكبر بالأبعاد الحضارية والإنسانية للحرية، وربطها بقضايا الكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان والتعايش بين الشعوب والأديان.
10. تبين أن الاختلاف بين المدارس التفسيرية لم يكن في أصل الاعتراف بحرية الإنسان، وإنما في تفسير حدودها وضوابطها وآثارها العقدية والفقهية.

11. أثبتت الدراسة أن التصور القرآني للحرية يقوم على التوازن بين الحرية والمسؤولية، فلا يقر الجبر المطلق الذي يلغي إرادة الإنسان، ولا الحرية المطلقة المنفلتة من الضوابط الأخلاقية والتشريعية.
12. انتهت الدراسة إلى أن الحرية في القرآن الكريم قيمة مرتبطة بالعبودية لله تعالى، وأن التحرر الحقيقي يتحقق بخلاص الإنسان من الخضوع للأهواء وللسلطات البشرية الجائرة.

**ثانيًا: التوصيات**

1. العناية بإبراز المفهوم القرآني للحرية في الدراسات التفسيرية المعاصرة، وبيان تميزه عن التصورات الفلسفية الحديثة.
2. تشجيع الدراسات المقارنة بين المدارس التفسيرية المختلفة للكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف في تناول القضايا الإنسانية الكبرى.
3. الإفادة من التراث التفسيري الإسلامي في معالجة الإشكالات الفكرية المعاصرة المتعلقة بالحريات العامة وحقوق الإنسان.
4. وفي الختام، فإن هذا البحث لا يدّعي الإحاطة بجميع جوانب موضوع الحرية في القرآن الكريم، وإنما يمثل محاولة علمية للكشف عن أبرز معالم هذا المفهوم في ضوء المدارس التفسيرية المختلفة، سائلين الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الباحثين والدارسين، والحمد لله رب العالمين.

**قائمة المصادر:**

**القرآن الكريم**

1. ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (نسخة الشاملة، لا توجد بيانات طبعة).
2. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (المقدمة)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
3. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

4. ابن شاس، عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، تحقيق: أ. د. حميد بن محمد لحمر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
5. ابن عاشور، محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، مجلة هدى الإسلام القاهرية، ١٣٥٤ - ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٥ - ١٩٣٦ م.
6. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.
7. ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
8. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المحقق: حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ.
9. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، وضع حواشيه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
10. ابن منظور، لسان العرب، حواشي: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.
11. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.
12. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، بعناية: صدقي محمد جميل العطار، زهير جعيد، عرفان العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
13. الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.
14. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ (مصورة بعناية د. محمد زهير الناصر، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ، دار طوق النجاة، بيروت، بترقيم أحاديث محمد فؤاد عبد الباقي).
15. التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م.

16. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
17. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
18. الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
19. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ هـ.
20. سعيد بن ناصر الغامدي، الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها «دراسة نقدية شرعية»، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة - كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الناشر: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م
21. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤ م.
22. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
23. القاضي، عبد النبي، دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، تعريب: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
24. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
25. محمد بن عبد الوهاب، كتاب التوحيد، تحقيق: د. فتح الله خليف، دار المشرق، بيروت، الطبعة: الثانية، (د.ت).
26. محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي - الخواطر، الناشر: مطابع أخبار اليوم، 1997م.

## Refrences:

The Holy Quran

.1Ibn Hazm Al-Andalusi, Al-Ihkam fi Usul al-Ahkam, edited by Sheikh Ahmed Muhammad Shaker, Dar Al-Afaq Al-Jadida, Beirut, (Al-Shamela version, no edition data available.(

.2Ibn Khaldun, Abdul Rahman bin Muhammad, Diwan Al-Mubtada' wal-Khabar fi Tarikh al-Arab wal-Barbar wa Man Asaraahum min Dhu al-Shan al-Akbar (The Muqaddimah), edited by Khalil Shahada, Dar Al-Fikr, Beirut, Second Edition, 1421 AH - 2001 AD.

.3Ibn Sida, Al-Muhkam wal-Muheet Al-Azam, edited by Abdul Hamid Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, First Edition, 1421 AH - 2000 AD.

.4Ibn Shas, Aqad Al-Jawahir Al-Thamina fi Madhhab Alim Al-Madina, edited by A. Dr. Humaid bin Muhammad Lahmar, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, First Edition, 1423 AH - 2003 AD.

.5Ibn Ashur, Muhammad Al-Tahir, Usul Al-Nizam Al-Ijtima'i fi Al-Islam, Huda Al-Islam Magazine, Cairo, 1354 - 1355 AH / 1935 - 1936 AD.

.6Ibn Ashur, Muhammad Al-Tahir, Al-Tahrir wal-Tanweer, Dar Al-Tunisia Publishing, Tunis, 1984 AD.

.7Ibn Ashur, Muhammad Al-Tahir, Maqasid Al-Sharia Al-Islamiyya, edited by Muhammad Al-Habib Ibn Al-Khouja, Ministry of Endowments and Islamic Affairs, Qatar, 1425 AH - 2004 AD.

8. Ibn Kathir, *Tafsir al-Qur'an al-Azim*, edited by Hikmat bin Basheer bin Yasin, published by Dar Ibn al-Jawzi for Publishing and Distribution – Saudi Arabia, first edition, 1431 AH.

9. Ibn Kathir, *Tafsir al-Qur'an al-Azim*, with footnotes by Muhammad Hussein Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, first edition, 1419 AH - 1998 AD.

10. Ibn Manzur, *Lisan al-Arab*, with footnotes by al-Yazji and a group of linguists, Dar Sader, Beirut, third edition, 1414 AH.

11. Ibn Hisham, *Al-Sirah al-Nabawiyyah*, edited by Mustafa al-Saqqa, Ibrahim al-Abyari, Abdul Hafeez Shalabi, Maktabat wa Matba'at Mustafa al-Babi al-Halabi, Egypt, second edition, 1375 AH - 1955 AD.

12. Abu Hayyan al-Andalusi, *Al-Bahr al-Muheet fi al-Tafsir*, supervised by Sudqi Muhammad Jamil al-Attar, Zuhair Juaid, Irfan al-Asha Hassouna, Dar al-Fikr, Beirut, 1420 AH - 2000 AD.

13. Al-Asfahani, Al-Raghib, *Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an*, edited by Safwan Adnan al-Daoudi, Dar al-Qalam, Dar al-Shamiya, Damascus - Beirut, first edition, 1412 AH.

14. Al-Bukhari, Muhammad ibn Ismail, Sahih al-Bukhari, edited by a group of scholars, Sultanate edition, Al-Amiriya Major Printing Press, Bulaq, Egypt, 1311 AH (carefully reproduced by Dr. Muhammad Zuhair Al-Nasser, first edition 1422 AH, Dar Tawaq Al-Najat, Beirut, with numbering of hadiths by Muhammad Fouad Abd Al-Baqi).

15. Al-Tahanawi, Muhammad Ali, Kashaf Istilahat al-Funun wal-Ulum, edited by Dr. Ali Dahrouj, Library of Lebanon Publishers, Beirut, first edition, 1996 AD.

16. Al-Jurjani, Ali ibn Muhammad, Al-Ta'rifat, verified and corrected by a group of scholars, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, first edition, 1403 AH - 1983 AD.

17. Al-Razi, Fakhr al-Din, Mafatih al-Ghayb (Al-Tafsir al-Kabir), Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, third edition, 1420 AH.

18. Al-Zajjaj, Ibrahim ibn Al-Sari, Ma'ani al-Qur'an wa I'rabuhu, edited by Abdul Jalil Abdo Shalabi, Alam al-Kutub, Beirut, first edition, 1408 AH - 1988 AD.

19. Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar, Al-Kashaf 'an Haqa'iq al-Tanzil wa 'Uyun al-Aqawil fi Wujuh al-Ta'wil, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, Third Edition, 1407 AH.

20. Saeed bin Nasser Al-Ghamdi, Al-Inhiraf Al-'Aqdi fi Adab Al-Hadatha wa Fikraha (A Critical Sharia Study), Original Book: Doctorate Thesis - College of Fundamentals of Religion, Department of Creed and Contemporary Doctrines - Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Publisher: Dar Al-Andalus Al-Khadra for Publishing and Distribution, Jeddah - Kingdom of Saudi Arabia, First Edition, 1424 AH - 2003 AD.

21. Sayyid Qutb, Fi Zilal Al-Quran, Dar Al-Shorouk, Cairo, 2004 AD.

22. Al-Tabari, Muhammad bin Jarir, Jami' Al-Bayan 'an Ta'wil Ay Al-Quran, Verified by: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, Dr. Abdul-Sanad Hassan Yamama, Dar Hijr for Printing and Publishing, Cairo, First Edition, 1422 AH - 2001 AD.

23. Al-Qadi, Abdul Nabi, Dustur Al-Ulama' (Comprehensive Sciences in the Terminology of Arts), Arabized by: Hassan Hani Fahis, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut, First Edition, 1421 AH - 2000 AD.

24. Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmed, Al-Jami' li Ahkam Al-Quran, Verified by: Ahmed Al-Bardouni and Ibrahim Atfesh, Dar Al-Kutub Al-Masriya, Cairo, Second Edition, 1384 AH - 1964 AD.

25. Muhammad ibn Abd al-Wahhab, The Book of Monotheism, edited by Dr. Fathallah Khalif, Dar Al-Mashriq, Beirut, second edition, (n.d.).

26. Muhammad Metwally Al-Shaarawy (d. 1418 AH), Al-Shaarawy's Tafsir – Reflections, Publisher: Akhbar Al-Youm Press, 1997.